



## الصحافة المصرية لا تزال حتى اليوم الأكثر توزيعاً

# مصطفى بكرى لـ «البلاد»: من المؤسف أن تنقسم الأقاليم بين سنية وشيعية وفق ما تريده راييس

• بثينة خليقة قاسم من القاهرة

الولايات ليست للوطن، كما أنه يشير بطريقة أو بأخرى إلى أن جذور هذه الولايات تستمد مدادها من قوى الخارج، وهذا أمر يؤثر على وحدة الكيان الوطني، الذي تسعى إليه أميركا بكل الطرق والمداخلات. انظري ماذا جئنا من الطائفية في العراق (أكراد وسنة وشيعية)، وكذلك الحال في لبنان، والسودان حيث محاولات زرع بذور الطائفية بين الأقباط وأبناء النوبة. إنه أمر يؤدي إلى التفتت والتفرقة، ويعطي إسرائيل القوة الأساسية القادرة على فرض إرادتها على الجميع، باعتبارها أنها عسكري المنطقة، ونحن مع الأسف، نتفرغ للخناقات والازمات بين بعضنا البعض، كأننا نعيش في مرحلة نهاية الدولة الأندلسية.

• تعرض اللقاء الذي جمعكم وعدداً من رؤساء تحرير الصحف المصرية "القومية والمستقلة" بجلالة ملك مملكة البحرين مؤخراً لسيل من الانتقادات من قبل قيادات صحافية ومراقبين إعلاميين، حيث ربطها البعض بمحاولة تدجين الصحافة المصرية، والإساءة للصحافي المصري، في حين تساءل البعض الآخر عن القيمة الممينة الكامنة وراء تلبيتكم للدعوة الطائفية، كيف تردون على ذلك؟

عندما يدعوا ملك البحرين وهو ملك لدولة عربية عدداً من رؤساء التحرير ليلتقيهم ويتناقش معهم في قضايا تمم الأمة العربية والبحرين، والمملكة لتوها خارجة من تجربة ديمقراطية رائعة، وكان البرلمان على وشك أن يعقد في تلك الفترة. هل في ذلك عيب أو إساءة؟

• هل من العيب أن أنتقي كصحافي ملكاً أو رئيس دولة؟! من أين لي إذن مصدر المعلومة؟! لماذا أنتقي الرئيس مبارك والرئيس اليمني؟! وما المانع من أن أنتقي ملك البحرين؟! في تقديرتي، إن مثل هذه الأمور الهدف منها بالأساس تقطيع أوصال العرب مع بعضهم البعض، ومسألة لقاء حاكم عربي للحوار والنقاش وتجاذب أطراف الحديث مسألة عرفتها الديانة الإسلامية منذ القدم، حيث التقاء أصحاب الرأي والمشورة الظلفية لتقديم النصيحة والمشورة، وقد تحاورنا مع جلالة الملك عما يجري في العراق، خصوصاً أن العراق كان ولا يزال يعيش أوضاعاً أمنية صعبة جداً، وكان من الطبيعي أن نذهب ونتلقى ونقول وجهة نظرنا، وأن نعبر عن مخاوفنا، سواء المخاوف على الداخل حيث محاولة إنكفاء الفتنة في البحرين، أو المخاوف على الأمن القومي العربي.

• بسبب أرائكم وتوجهاتكم الفكرية، مثلتم أمام المحاكم، وحسبتم على المعارضة. ومع ذلك، فأنتم من الشخصيات المقربة إلى الرئيس المصري، كيف تمكنتم من تحقيق هذه المعادلة؟

عندما يفتح الرئيس على الآخر، ويوافق على مد جسور التواصل مع المعارضة، ويلتقي صحيفة الأسبوع تحديداً، فتلك نقطة إيجابية تحسب لصالح النظام، وهذا ما نحن نسعى إليه أصلاً - أن يصفي لنا الآخر بأذن وإعابة - لكن، أبداً لم يطلب مني الرئيس المصري موقفاً سياسياً معيناً، كما ألي لم ولن أترجع عن ثوابتي، وخطوطي الحمراء واضحة جداً، وهي بعيدة عن المساومات.

• كلمة أخيرة لقراءكم في البحرين؟

البحرين ملكاً وقيادة وشعباً في قلبنا وعقلنا، والشعب البحريني جزء أصيل من مكونات الشعب العربي الممتد من المحيط إلى الخليج، ولا ننسى له مواقف مع مصر والأمة العربية..

في طريقتي إليه لإجراء حوار معه، سألت نفسي عما إذا كان تراجع الدور المصري في الآونة الأخيرة قد أثر سلباً على دور الصحافة المصرية، بغض النظر عن الأداء الممني، أو الموقف السياسي، وهل لا تزال الصحافة المصرية هي الأكثر توزيعاً في العالم العربي؟ ثم مرت بخاطري مكانة مصر في وجدان الشارع العربي، باعتبارها نقطة ارتكاز لهذه الأمة العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج.. وكيف بإمكان الأطراف العربية أن تسمم في شفاء مصر، خصوصاً أن لها مواقف عظيمة مع الأمة العربية على أكثر من صعيد واتجاه.. كما مر بخاطري وقائع محاكمته أمام محكمة الجنايات والجنح وأمن الدولة العليا بسبب آرائه والتزامه بثوابته.. وسألت نفسي: ماذا يحمل جراب هذا الرجل بخصوص قضايا الممنة؟ فوجدت في جرابه الكثير.

الخصوصية، وأن يقوم الغرب بدور المحاييد على الأقل في مراعاتنا الإقليمية، وأن يكون ثمة تلافح في الثقافات، وليس سيطرة بمنطق العولمة الثقافية أو ما شابه.

تصورى لو كان لدينا مرصد عربي مستقل، يحوي شخصيات عربية تلقى قبولا واحتراماً قومياً تتولى لدينا مهمة مراقبة أداء وسير الصحافة العربية، إن ذلك من شأنه أن يكسب المنظمة وضعية إقليمية ودولية لها احترام كبير، كما سيجعلنا على ثقة من أدائها، مثل المنظمة العربية لحقوق الإنسان، فنحن نثق فيها لأنها لا تتلقى تمويلًا أجنبياً، وهي أدرى بمشاكلنا، وعندما تعالج مشاكلنا تعالجهما بروح مسؤولة.

• مع وجود سيل من المحظورات والممنوعات في حياة الصحافي الممينة، هل تستطيع صحافتنا العربية أن تضطلع بالدور المنوط بها كسلطة رابعة لها شخصيتها الاعتبارية؟

فارق كبير جداً بين الفوضى والمسؤولية، في بعض الأحيان نشعر أن الصحافة -وتحديدًا الصحافة المصرية- تعاني فوضى في تناول الشخصيات والرموز والخصوصيات، هذا أمر بالتأكيد مرفوض، هناك محظورات لحماية الفساد والفاستين، وهي في ذلك تستخدم أساليب عديدة جداً، فتارة تلوح بالقضاء، وتارة بالادوار الحكومية، وتارة بالاعتقالات، وتارة بتلغيف القضايا أو إغلاق الصحف. أمور يجب أن نتوقف، لأن العالم اليوم أصبح قرية مفتوحة.. ولست أعلم إلى متى ستظل هذه المحظورات على وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة؟..

• هناك من يطالب بجس الصحافي كعقوبة، وآخرون يطالبون استبدالها بالتعويض المادي، أين تقفون من ذلك؟

أرفض رفضاً قاطعاً أن يجس صحافي يدافع عن قيم المجتمع ومثاليته، ويواجه سلطة الحكم، أياً كانت قوة هذا الحكم أو جبروته.

• نأت الأقاليم الصحافية اليوم عن دورها المرتقب من حيث تسليط الضوء على مثالب النظام، وغيوب المجتمع بغية الإصلاح وتعديل المسارات، وصارت تروج لشعارات سياسية، وأخرى طائفية، كيف تتلون الموقف السلبي للصحافة، وعدم قيامها بدورها المنوط بها؟

من المؤسف حقاً أن كثيراً من الصحف والكتاب بدأوا يمشون خلف خطة "كونداليزا راييس" للشرق الأوسط الجديد، وهي خطة تعني بالأساس إعادة إنتاج "سايسك بيكو" على أسس طائفية وعرقية، فلم تكن نسمع من ذي قبل عن تباين طائفي في البحرين، وكذا الانقسام في مجلس النواب البحريني، إلا أننا في الآونة الأخيرة استشرعنا ذلك من خلال الكتابات، والحقيقة ألي لا أعارض التباين والتقسام على أساس سياسي أو اجتماعي، لكني أمقت حين يكون على أسس مذهبية.. هذا خطر حقيقي، لأنه يعني أن

### بروفائيل:

- مصطفى بكرى، رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير صحيفة الأسبوع المصرية المستقلة الليبرالية، وعضو مجلس الشعب. شخصية مثيرة للجدل.. استطاع أن يشق طريقه الصحافي وسط منزلقات من الوعورة والتحدّي، كتبته لمجموعة من الحملات الصحافية، أثبت من خلالها حرصه الشديد على الصالح العام، ودفاعه عن ثوابته الوطنية المتمثلة في ترسيخ دعائم دولة القانون والمؤسسات، وممارسة رموز الفساد والفاستين، وحماية المال العام من المجرم.
- بدأ مشواره الصحافي منطلقاً من مجلة "المصور" في مطلع الثمانينات، ثم ترأس تحرير عدد من الصحف كمصر اليوم 1989، ومصر الفتاه 1990 - 1992، والأحرار 1994، كما عمل مراسلاً في إذاعة مونتري كارلو منذ عام 1989 - 1994.
- عن واقع الصحافة المصرية اليوم، قال إنها لا تزال الأكثر توزيعاً بين الصحف العربية، وذلك لأسباب تعود إلى منطق الإرث التاريخي. وفي سياق آخر، أكد أن وجود مرصد عربي يقوم برصد الصحافة العربية هو الحل الأنجع للخروج من مأزق تدني مستوى أداء الصحافة العربية، وأيضاً تأسف لمضي بعض الكتاب والصحافيين نحو تحقيق خطة "كونداليزا راييس" (البيضة) للشرق الأوسط الجديد، من حيث انقسامهم بين أقاليم سنية وأخرى شيعية..

فألي نص الحوار:

• مصر، هي قلب الوطن العربي، وكثيراً ما نقرن حال الأمة العربية بما يعترى مصر من تداعيات وأحداث، هل ترى الصحافة المصرية اليوم بخير، أو تراها عليية؟

لا تزال الصحافة المصرية هي الصحافة الأكثر توزيعاً بين الصحف العربية، بغض النظر عن أي تفاصيل تتعلق بالأداء المهني أو الموقف السياسي، وذلك يعود إلى منطق الإرث التاريخي، فالتناس اعتادت أن تشتري الأهرام في كل الأحوال، الأمر الآخر، أن الصحافة المصرية دخل عليها متغير جديد، وهو ما يسمى بالصحافة المستقلة، والصحافة المستقلة سواء كانت يومية أو أسبوعية، أصبحت تهدد عرش الصحافة القومية، ولكن، ثمة ملاحظات يستطع المرء أن يتوقف أمامها هنا أولها، لغة الخطاب الصحافي، فمع بالغ الأسف، أصبحت لغة ميالة في كثير من الأحيان إلى الإثارة السياسية والفرائرية، فثمة صحف لا هم لها سوى أن تتناول شخصيات الناس، وتحضي وراء أسيارهم الخاصة، وهذا أمر مرفوض بالأساس.

الأمر الثاني، هو قضية الإثارة السياسية، ففي كثير من الأحيان، نرى أن الشارع المصري لا يتقبل بأي حال من الأحوال أن تكون هناك لغة إثارة يمكن بالفعل أن تغالي من الحدث، وربما أيضاً تدخل الحسابات السياسية ضمن الأداء المهني، وعملية توظيف المهنة الصحافية لحساب السياسة بمنطق غير موضوعي، تجعل القارئ أمام لغة لم يتعلم أو يتعود عليها.. كما أنها لغة تقود إلى أخبار أو تحقيقات تغتفر إلى الحس الموضوعي، بل تغتفر حتى إلى المعلومة الحقيقية، لذلك، أستطيع القول إنه رغم كمية الحرية الكبيرة التي تتمتع بها الصحافة المصرية، أعتقد أن هناك أمراضاً لا تزال تطاردنا، خصوصاً بعض الصحف الجديدة منها، وأيضاً بعض الصحف القومية التي تهرلت، وتراجع مستوى توزيعها، والتي تتفاضى عن الحقائق في تناولها لبعض هذه القضايا. الأمر الأخطر في كل ذلك هو "الانعرالية"، ففي فترة كبيرة كانت الصحافة المصرية هي العنوان القومي، وجسر التواصل ما بين مصر والأمة العربية، إلا أنه مع الأسف، طفت على الساحة صحف جديدة جل همها هو ضرب عرى التضامن العربي.

• كيف يمكن للدول العربية أن تسمم في شفاء صحافة مصر، بدلاً من التشفي؟

ما من شك أن العرب تواقون دوماً للفرن والإبداع والثقافة المصرية، وتراجع الصحافة المصرية بشكل عام يحز بخاطر كل العرب، الذين ما فتؤوا ينظرون لها باعتبارها الشقيقة الكبرى، فإذا ما أصيبت بضعف، فإن ذلك بالتأكيد ينعكس على كل الأشقاء العرب.. والقضية ليست أنك تغرض رأياً معيناً، أو أنك توظف سلطة أبوية ليست لك، وإنما مصر بحكم المكان والتاريخ والموقع، هي نقطة ارتكاز للأمة العربية، وجميع أطراف الأمة العربية ترى ذلك، وبالتأكيد، مملكة البحرين في مقدمة هذه المواقع، حيث حرصنا على تعضيد الموقف المصري، والسعي إلى بلورة الموقف المصري الأفضل، والأهم من ذلك طبعاً هو أن نتجج مصر في أن يكون لها موقفاً..

• تصدر منظمة "مراسلون بلا حدود" تقارير سنوية عن أوضاع الصحافة في الوطن العربي، وثمة ضبابية تكنتف أداء المنظمة، من حيث المصدر الذي تستقي منه المعلومة، برأيكم، لماذا لا يكون لدينا مرصد عربي مستقل يقوم بمهام مراقبة أداء الصحافة في عالمنا العربي وفقاً للمعايير العالمية؟

لقد أثرت نقطة غاية في الأهمية، وهي نقطة التكالب دوماً نحو كل ما هو غربي، والسعي المستمر نحو تصديقه، رغم أننا نعرف على الأرض الواقع مدى حجم العداء الغربي لثقافتنا وقيمتنا الاجتماعية، وحتى لدورنا الإقليمي أو الدولي، ونحن إذ نود أن يقوم جسر التواصل بيننا وبين الغرب على أساس من الاحترام المتبادل، فإننا نؤكد على جانب احترام